الواقعية الاجتماعية والواقعية الفلسفية في أعمال نجيب عبدالعزيز محفوظ في رواية: (القاهرة الجديدة) أنموذجاً.

أ. بسمة سليم سالم أولاد أحمد ـ جامعة المرقب - كلية الآداب والعلوم
قسم اللغة العربية / كلية الآداب والعلوم "مسلاته.
البريد الإلكتروني: basmahsaleem12@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة لتناول الواقعية الاجتماعية والواقعية الفلسفية في أعمال نجيب عبدالعزيز محفوظ في رواية: (القاهرة الجديدة) أنموذجاً، وذلك باعتبار أن رواية: (القاهرة الجديدة) ، تعد من الروايات التي مثلت الواقع الحقيقي لحركة المجتمع في ثلاثينات القرن الماضي من خلال صراعاته ومبادئه وأفكاره، كما تمثل كل ما مر به المجتمع المصري من تغيرات وأحداث وثغرات، وذلك باستقصاء المواضع التي برزت فيها الواقعية الاجتماعية والفلسفية في مصر.

أراد نجيب محفوظ بالقاهرة الجديدة توضيح تغيرات الفرد والمجتمع، فلم يكن يقصد بالقاهرة الجديدة بأنها مجرد مدينة أقيمت، بل أراد توضيح التغيرات التي حدثت في مصر ولعل من أهمها مجتمع الجامعة الذي غير العديد من المفاهيم، ومن بعد ذلك نشأة الأحزاب وفساد كبار الدولة، وانتشار الأسلحة، وعدم الاهتمام بمصالح الدولة، وانتشار الفقر والفساد.

الكلمات المفتاحية:(الواقعية، الاجتماعية، الفلسفية، القاهرة الجديدة)

مقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، وأفصح من نطق بالضاد، سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- النبي الأمي، المؤيد بالمعجزة الخالدة، معجزة القرآن الكريم.

أما بعد... فقد وقع اختياري لدراسة: (الواقعية الاجتماعية والواقعية الفلسفية في أعمال نجيب عبدالعزيز محفوظ في رواية: القاهرة الجديدة- أنموذجاً).

مشكلة البحث وتساؤلاته:

تحاول هذه الدراسة المتواضعة دراسة الواقعية الاجتماعية والواقعية الفلسفية في أعمال نجيب عبدالعزيز محفوظ في رواية: (القاهرة الجديدة) أنموذجاً، وإبراز دور الأديب نجيب محفوظ في التعبير عن الواقعية وأثرها في الحياة الاجتماعية والتغير الذي يلحق المجتمعات، وأثر المجتمع في حياة الفرد، فالأدب مرأة تعكس حياة المجتمعات.

ولعل من أهم التساؤلات في هذا البحث ما يلي:

1- ماذا يعني نجيب محفوظ بالقاهرة الجديدة ؟

2- ما موقع رواية: (القاهرة الجديدة) في مسيرة الرواية العربية ؟

3- إلى أي مدى صورت رواية: القاهرة الجديدة الواقعية الاجتماعية والواقعية الفلسفية؟

أهداف البحث :

1- معرفة ماذا يعني نجيب محفوظ بالقاهرة الجديدة .

2- معرفة موقع رواية: (القاهرة الجديدة) في مسيرة الرواية العربية .

3- معرفة أي مدى صورت رواية: القاهرة الجديدة الواقعية الاجتماعية والواقعية الفلسفية .

أهمية البحث:

الروايات الواقعية هي نقيض الروايات الخيالية، فهي تروي لنا أحداثاً ووقائعاً وقصصاً واقعية تحدث في المجتمعات، ولعل رواية (القاهرة الجديدة) من أهم وأبرز الروايات الحقيقة والواقعية التي تمثل المجتمع المصري من حيث الوقائع والأحداث التي غيرت المجتمع المصري.

وقد اعتمدت في هذا البحث على المصادر الأساسية وهي: رواية القاهرة الجديدة وبعض رواياته لأخذ لمحة عن واقعية الرواية.

فالعمل الأدبي تغلب عليه العاطفة التي يعيشها البشر في كل بقاع العالم، ساهمت على امتداد العصور في إيجاد علاقات اجتماعية شكلت جوهر الحياة في مختلف المجتمعات والثقافات وخصوصاً في مصر، وللحب تأثير في تشكيل الروح الإنسانية ودفعها إلى كل ما هو جميل من أفعال يعم خيرها، ولا يمكن اختزال الحب ومظاهره في يوم واحد، فعاطفة مثل الحب تبدأ مع بداية الحياة وتنعكس على نمط حياته وأسلوب تفاعله مع نفسه ومع الآخرين.

ولهذه الأسباب وغيرها آثرت دراسة هذا الموضوع الموسوم بـ: (الواقعية الاجتماعية والواقعية الفلسفية في أعمال نجيب عبدالعزيز محفوظ في رواية: (القاهرة الجديدة) أنموذجاً.

أسباب اختيار البحث:

1- أن موضوع (الواقعية الاجتماعية والواقعية الفلسفية في أعمال نجيب عبدالعزيز محفوظ في رواية: (القاهرة الجديدة) من صميم الأدب والنقد العربي، وقد عده بعض الباحثين أنه هو الأدب، بل ما من رواية إلا ونجد لها صلة قوية بالواقعية.

2- إبراز علم من أعلام الأدب العربي والاهتمام بفكره وعلمه.

3- محاولة المساهمة في إثراء المكتبة العربية خاصة في المجال التطبيقي الذي يرتبط بالأدب والنقد العربي.

4- رغبتي في معرفة شخصية نجيب محفوظ، وكيف رسم ملامح شخصياته في رواية (القاهرة الجديدة).

منهجية البحث وخطته:

"وحرصاً مني على تحقيق هذه الغاية رسمت خطة تعينني وتنير الطريق أمامي. وقسمت البحث إلى مقدمة وثلاث مباحث هي:

المبحث الأول: تناولت فيه: نجيب محفوظ حياته ومساره العلمي، والتعريف بمصطلحات البحث لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: تناولت فيه: التعريف بالواقعية واتجاهاتها، والواقعية في روايات نجيب محفوظ.

المبحث الثالث: تناولت فيه: تنوع أعمال نجيب محفوظ بين اتجاهات الواقعية: الواقعية الاجتماعية (رواية القاهرة الجديدة) أنموذجاً

فالله نسأل أن ينفع به الدارسين، وأن ينعم علينا بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول ـ نجيب محفوظ حياته ومساره العلمي، والتعريف بمصطلحات البحث لغة واصطلاحاً:

أولاً ـ التعريف بالأديب (نجيب محفوظ)

" نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد باشا، والمعروف باسمه الأدبي نجيب محفوظ، هو روائي، وكاتب مصري، يُعد أول أديب عربي حائز على جائزة نوبل في الأدب،

كتب نجيب محفوظ منذ الثلاثينات، واستمر حتى 2004م". [1](حول الدين والديمقراطية: ص 223 - 225، وأدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب).

مولده ونشأته:

" ولد نجيب محفوظ عبد العزيز في حي الجمالية، وهو أحد أحياء منطقة الحسين بمدينة القاهرة، وأمضى طفولته في هذا الحي الشعبي البسيط الذي استلهم من أحداث رواياته التي كتبها، فصعد بيها إلي آفاق الأدب الإنساني، ثم انتقل وعائلته من هذا الحي إلي العباسية والحسين والغورية، وهي أحياء القاهرة القديمة التي أثارت اهتمامه في أعماله الأدبية، وفي حياته الخاصة، والتحق بمدرسة بين القصرين الابتدائية، وبعد أن انتقلت الأسرة عام 1924م إلي العباسية، حصل على شهادة البكالوريا من مدرسة فؤاد الأول الثانوية، ثم على شهادة إجازة الليسانس في الفلسفة عام 1934م من جامعة القاهرة، وعمل بعدها موظفاً في وزارة الأوقاف". [2]

وسمي نجيب محفوظ باسم مركب تقديراً من والده عبد العزيز إبراهيم للطبيب أبو عوف نجيب باشا محفوظ الذي أشرف على ولادته التي كانت متعسرة. [3]

أهم أعماله الأدبية:

" بدأ محفوظ يَتلمَّس خطواتِه الأولى في عالَم الأدب من خلال كتابة القصص، فنشَر ثمانين قصةً من دون أجر. وفي عام 1939 م خرجت إلى النور أولى تجاربه الإبداعية؛ رواية (عبث الأقدار)، ليواصل بعدَها كتابة الرواية والقصة القصيرة بجانب المسرحية، فضلًا عن المقالات الصحفية، وبعض سيناريوهات أفلام السينما المصرية".

مرَّت التجرِبة الروائية لدى محفوظ بعِدةِ مراحلَ بدأت بالمرحلة التاريخية التي عاد فيها إلى التاريخ المصري القديم، وأصدر ثُلاثيته التاريخية(عبث الأقدار)، و(رادوبيس)، و(كفاح طِيبة). ثم المرحلة الواقعية التي بدأت عام 1945، تزامُنًا مع الحرب العالمية الثانية؛ حيث اقترب في هذه المرحلة من الواقع والمجتمع، فأصدر رواياته الواقعية مثل: (القاهرة الجديدة) و(خان الخليلي)، ليصل إلى ذُروة الإبداع الروائي مع الثلاثية الشهيرة: (بين القصرَين) و(قصر الشوق) و(السُّكَّرية). ثم المرحلة الرمزية أو الفكرية، التي كان من أبرز أعمالها: (الطريق)، و(الشحَّاذ)، و(ثرثرة فوق النيل)، و(أولاد حارتنا) التي أحدَثَت جدلًا واسعًا في الأوساط الدينية، ومُنِع نشرها لفترة، والكتب المؤلفة للكاتب نجيب محفوظ 55 كتاب، منها: أفراح القبة وأحلام فترة النقاهة وأصداء السيرة الذاتية وأمام العرش والجريمة.

وفاته:

رحل أيقونة الأدب المصري والعربي نجيب محفوظ عن دُنيانا في 30 أغسطس2006 م، بعد حياةٍ حافلة بالإبداع والعطاء، قدَّمَ خلالَها الكثيرَ من الأعمال الأدبية القريبة من الإنسان والمحمَّلة بفلسفة الحياة، والتي تُعَد إرثًا عظيمًا يحتفي به كلُّ مصري، وكلُّ عربي، وكلُّ إنسان" .[4]

ثانياً ـ تعريف الواقعية لغةً واصطلاحاً:

معنى الواقعية لغة:

لم تعرف اللغة العربية مفهوم الواقع كمفهوم مجازي حديث، يدل على ما يدل عليه عند سماعه لدى الإنسان العربي المعاصر، وإن اشترك مع المعنى القديم في شيء من معناه الحديث.

ففي اللغة يفيد الفعل الثلاثي وقع واشتقاقاته: يقع، وقاعا، وقوعا، السقوط وإنزال الشيء على الشيء، وهذا ما يفيد في الكلام حقيقة، كأن تقول وقع الطير على الأرض أو شجر أو وقع مطر على الأرض، أو وقعت الدواب، أي ربضت على الأرض.

أما في الاستخدام المجازي، فوقع بمعنى: الحصول الشيء وثبوته، كالقول: وقع الحق أي ثبت، ووقع عليه أيثبت عليه، ووقع في الشرك: حصل فيه. والواقع من وقع لها عدة معاني منها السقوط: وقع الشيء من يدي أي سقط.[5]

معنى الواقعية اصطلاحا:

" والواقعية كاصطلاح مذهبي: ظهرت في لحظات التحولات الاجتماعية الفكرية في الفكر العربي. فقد اشتهرت وشاعت في العصر الحديث كلمات الواقع، والواقعي، والواقعة، والواقعية، كمصطلحات ومفاهيم مذهبية في الأدب والفن والفلسفة والسياسة وهي من المصطلحات المطاطة والفضفاضة التي تختلف مفاهيمها باختلاف ميادين النشاط الإنساني من جهة وباختلاف اتجاهات النقاد والأدباء ومنظري الأدب من جهة أخرى" [6]

" وقد قدم بعض النقاد عدة تعاريف لهذا المصطلح، فشيلينخ قدم في احدى مقالاته 1795م تعريف للواقعية الخالصة على أنها هي التي تؤكد اللاأنا أي ما هو خارج الذات، ويتداول الفلاسفة بعد ذلك مصطلح الواقعية لمعارضته المثالية لهذا المفهوم حتى الآن، وكان هذا من أول بوادر لسوء الفهم وعدم الدقة في الفصل بين المستويات المختلفة" [7]

وفي السياسة فالمصطلح يعني : القبول بالأمر الواقع والاعتراف بالأوضاع السائدة،

فالواقعية هنا مرادفة للسلبية والاستسلام أما في الأدب فتعني به "ملاحظة الواقع وتسجيل تفاصيله وتصويره تصويرا فوتو غرافياً حرفياً، وإبعاد عناصر الخيال... ويقصد به أحيانا أخرى الحيادية أو الموضوعة الصارمة التي تمنع تسرب أفكار الكاتب وعواطفه".[8]

تعريف الاجتماعية لغةً واصطلاحاً:

معنى الاجتماعية لغة:

اجتمع: اجتماعاً القوم : تجمعوا وانضموا إلي بعضهم بعضاً، ضد تفرق.

الاجتماع جمع الاجتماعات: الالتئام ــ الجلسة، التجمع.

وعلم الاجتماع: علم يبحث بقضايا المجتمعات البشرية.[9]

معنى الاجتماعية اصطلاحاً: "هناك تعاريف عدة لعلم الاجتماع، من أهمها تعريف كينز بيرك ؛إذ يعده العلم الذي يدرس طبيعة العلاقات الاجتماعية وأسبابها ونتائجها.

ويقصد بالعلاقات الاجتماعية اتصال وتفاعل أو تجاوب بين شخصين أو أكثر، بهدف سد حاجات الأفراد ومتطلباتهم، ومن تم إشباعها؛ لأن هؤلاء الأفراد يقومون بالاتصال أو التفاعل الاجتماعي.

فعلم الاجتماع هو واحد من العلوم المهمة ويتداخل مع غيره من العلوم مثل: (علم الاقتصاد، وعلم السياسة، وعلم النفس، وعلم الإنسان) ، فقد عرفه عبد الحميد لطفي: بأنه العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية دراسة علمية بهدف الكشف عن القوانين والقواعد والاحتمالات التي تخضع لها هذه الظواهر في ترددها واتجاهها."[10]

تعريف مفهوم الفلسفة لغةً واصطلاحاً:

معنى الفلسفة لغة:

(فلسف) الفَلْسفة الحِكْمة أَعجمي وهو الفَيْلسوف وقد تَفَلْسَفَ .[11]

(فلسف) الشيء فسره تفسيرا فلسفيا ، (تفلسف) سلك طريق الفلاسفة في بحوثه وتكلف طريقتهم دون أن يحسنها [مو] (الفلسفة) دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة تفسيرا عقليا وكانت تشمل العلوم جميعا واقتصرت في هذا العصر على المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما وراء الطبيعة، و(الفيلسوف) العالم الباحث في فروع الفلسفة .[12]

تعريف مفهوم الفلسفة اصطلاحاً:

"الفلسفة هي مجموع الدراسات أو التأملات ذات الطابع العام، التي تسعى إلي رد نظام من المعرفة أو المعرفة كلها إلي عدد صغير من المبادئ الموجهة، ولهذا المعنى يقال: فلسفة العلوم، فلسفة التاريخ ، فلسفة القانون، وتصبح الفلسفة هي محاولة للتركيب الكلي وللنظرة الشاملة للكون، وهي ما يصطلح عليها البعض بالفلسفة المضافة مقابل الفلسفة بدلالتها المطلقة التي تبحث في الوجود وقضاياه كالفلسفة اليونانية والقروسيطة الإسلامية واللاتينية." [13]

المبحث الثاني ـ التعريف بالواقعية واتجاهاتها(أنواعها):

"الواقعية نسبة إلي(الواقع)؛ وهو الموجود حقيقة في الطبيعة والإنسان، والواقع نوعان: حقيقي وفني؛ والأول ما إذا وصفه الإنسان كان صادقاً وأميناً لموافقته ما هو موجود وكائن؛ إنه بوصفه يأتي بنسخة عن الواقع كالصورة الفوتوغرافية، والثاني ـ وهو المعول عليه في الأدب ـ ويقوم على خلق إبداعي لواقع لا يشترط أن يكون حقيقاً بحذافيره. صحيح أنه يغترف عناصره من الواقع الحقيقي؛ لكنه يحور ويزيد وينقص ويختلق ويعيد التكوين ليأتي بواقع ليس أمينة للواقع الحقيقي بل هو محاكَ له وممكن الوجود والتصور؛ لأنه يجري في نطاقه ويخضعُ لشروطه وآلياته العادية.

فالكاتب الواقعي يخلق أشخاصه ويرسم ملامحها ويصور البيئة كما يشآء، ولكن ضمن الأخر المألوفة التي لا نشعر إزاءها بالغرابة الاستنكار.

وبهذا يشبه اللوحة الفنية التي يرسمها الفنان مستمداً عناصرها من الواقع الخارجي الحقيقي ومخيلاً لك واقعاً آخر هو واقعه الخاص الذي يراه من زاويته الإبداعية الحرة. فنراه يتلاعب بالألوان والظلال والخطوط والأشكال والتكوين كما يشاء دون الابتعاد عن منطق الواقع وطبائعه في الإنسان والمحيط.

فالواقعية الأدبية إذن هي: تصوير مبدع للإنسان والطبيعة في صفاتهما وأحوالهما وتفاعلهما، مع العناية بالجزئيات والتفصيلات المشتركة للأشياء والأشخاص والحياة اليومية ولو كانت تفصيلات مبتذلة وكل ذلك ضمن الإطار الواقعي المألوف. إنه واقع لا يشترط فيه الأمانة والصدق في النسخ بل كل ما يشترط فيه " الصدق الفني" وبهذا يتحول الكاتب إلي فنان مبدع لا إلي نساخ، أو كاتب تقرير." [14]

قال بعض النقاد: " إن الواقعية علمية وليست جمالية"، ولئن صح الشطر الأول من هذه المقولة فعلى الشطر الثاني اعتراض، إن النص الواقعي ليس كتابة لبحث علمي أو تقرير صحفي، إنه الأدب، والأدب فن، وكل فن يبتغي الجمال.[15]

اتجاهات الواقعية :

لقد كثرت تفريعات الواقعية حيث وصلت أنواعها إلي حدود الثمانية والعشرين اتجاهاً منها:

الواقعية الطبيعية:

أول أقسام الواقعية وهي التي تهتم بتصوير الواقع كما هو دون زيادة أو نقصان، ولعل هذا القسم هو الذي بدأت به بذور الواقعية في الأدب والنقد، وفيها يسلط الضوء على كل تفاصيل المجتمع بعيداً عن أي تدخل من الأديب أو عرض لخياله أو حتى انحراف عن الحقائق. [16]

الواقعية النقدية:

وهي التي يكون الأدب فيها مجرد مصور للعيوب والنقائص دون محاولة اقتراح حلول تساعد في تطور المجتمع، وهذا فيه الكثير من السلبية ولا يساعد في تطور المجتمع أو تقدمه، إنما على العكس يكون سبباً في إحباط المجتمع وتثبيط همم الأفراد ونشر جو من البؤس والسوداوية في الأرجاء. [17]

الواقعية الاشتراكية:

وهي التي ارتبطت بالنقد الماركسي الذي ظهر في روسيا وتبناه كثير من الأدباء والنقاد العرب والغرب، فهي الواقعية التي توجه اهتمامها إلي طبقات العمال الكادحة والمضطهدة، وتسلط الضوء على عذاباتهم وشقائهم وتعبهم، وهي في أغلبها تسعى لإيجاد حلول لهذه الطبقة من خلال شخصيات الأعمال الأدبية التي تقدمها، ولها اسماء عدة مثل: الواقعية الايديولوجية والاشتراكية. [18]

الواقعية الفلسفية:

"لقد كانت عقلية الواقعيّة الفلسفيّة العامة نقديّة، غير تقليديّة ومجددة وكان منهجها دراسة خصوصيات التجربة التي يقوم بها الباحث الفردي الذي تحرّر،لا حقاً على الأقلّ، من مجموع الافتراضات السّابقة والمعتقدات التقليدية وقد أضفى هذا المنهج أهميّة خاصّة على الدلالات وعلى مسألة طبيعة التوافق بين الكلمات والواقع. ولهذه السمات المميزة للواقعيّة الفلسفيّة تماثلات مع السمات المميّزة لشكل الرّواية وهي تماثلات تلفت الانتباه إلى نوع التّوافق بين الحياة والأدب، الغالب في أعمال التخييل النثريّة.[19]

الواقعية الاجتماعية:

إن الواقعية الاجتماعية مرحلة بارزة من أدب نجيب محفوظ فهي من مصطلحات الفضفاضة التي تتسع لمفاهيم عديدة ومجلات مختلفة، كما أنها كل ما يمتاز به الأدب

من تصوير دقيق للطبيعة وللإنسان، مع العناية الكبيرة بالتفاصيل المشتركة للحياة اليومية.

وتعد رواية: (القاهرة الجديدة) رواية للأديب المصري نجيب محفوظ نشرت لأول مرة سنة 1945 وتم تحويلها لفيلم سينمائي سنة 1966 باسم (القاهرة 30) من إخراج صلاح أبو سيف .تناقش الرواية العديد من القضايا الاجتماعية. هي أول رواية يكتبها نجيب محفوظ عن القاهرة .ومن هذه الرواية بدأ محفوظ يتخذ أسلوب الواقعية الاجتماعية. ويرى محمود أمين العالم تشابها بين هذه الرواية ورواية محفوظ الأولى عبث الأقدار". [20]

الواقعية في روايات نجيب محفوظ:

عندما نتأمل المشهد الرّوائي العربي، الآن، يتبيّن لنا أنّ رموزاً إبداعية كثيرة تركت بصماتها على الإبداع الروائي العربي وأنجزت مشاريعها الإبداعية، فلا أحد يشك في أن نجيب محفوظ هو الآن صاحب أسلوب خاص في كتابة الرواية العربية بدأت تتضح معالمه مع "القاهرة الجديدة" لكي يبلغ أوجه مع الثلاثية ثم يتخذ منعرجاً جديداً مع مجموعة من الروايات تبدأ بـ "السمان والخريف" و"اللص والكلاب" ومهما كانت التنويعات داخل التجربة المحفوظية، فإن الواقعية اتخذت مع نجيب محفوظ شكلها الخاص الذي يميزه، كما اتخذت مسيرة السرد عنده نهجاً لا يتكرر إلا لدى من يسعى إلى المحاكاة التي تبطل الخلق والإبداع. [21]

" إن روايات نجيب محفوظ تنطلق من الواقع، فمرة تنطلق من الواقع التاريخي القديم، ومرة أخرى من واقع أحياء القاهرة، وشوارعها، وحاراتها، ومقاهيها، ويبدو نجيب محفوظ في رواياته روائي واقعي يصور الواقع التاريخي أو الواقع الاجتماعي تصويراً أميناً ويخلق من أبطال رواياته شخصيات اجتماعية حية تحيا حياة كاملة عميقة تجيش بالعواطف والرغبات، وتعبر عن اجتماعية الواقع، وطموحات المجتمع" .

لقد بدأ نجيب محفوظ الكتابة في نصف الثلاثينيات، وهذا من خلال نشر مجموعة من القصص القصيرة في مجلة تسمى الرسالة، وكانت أولى الروايات تحمل اسم "عبث الأقدار"، ثم جاء بعدها مجموعة قصصية تسمى "كفاح طيبة" ورادوبيس، ثم بعد ذلك خطط نجيب محفوظ لنفسه الأسلوب الذي يناسبه من خلال الواقعية وحافظ عليه في معظم كتاباته الأدبية بعد ذلك.

وفي رواية السراب اتخذ نجيب محفوظ خط آخر هو الواقعية النفسية، ولكنه سرعان ما عاد إلي واقعيته الاجتماعية مع رواية " بداية ونهاية" و"الثلاثية المشهورة بين القصرين وقصر الشوق والسكرية"، ثم بعد ذلك اتجه نجيب محفوظ إلي الرمز في الروايات الخاصة به، مثل : أولاد حارتنا والشحاذ". [22]

إذن: تجربة نجيب محفوظ مرت بمراحل عدة، بدأت بالمرحلة التاريخية (الرومانسية 1939- 1944م، نشر روايات عبث الأقدار، رادوبيس، وكفاح طيبة)، ثم المرحلة الاجتماعية(الواقعية النقدية 1944- 1952م، نشر فيها القاهرة الجديدة،وخان الخليلي، والسراب، زقاق المدق، بداية ونهاية، وثلاثية بين القصرين، والسكرية، وقصر الشوق) ثم المرحلة التأملية الفلسفية الرمزية من 1957م، نشر فيها أولاد حارتنا، اللص والكلاب، السمان والخريف، والشحاذ، وترترة على النيل، ميرامار، والحرافيش، نشرها 1977م.

إن الواقعية تنطلق من جميع طبقات المجتمع وأصنافه، من أدنى الطبقات الفقيرة والمعذبة والمسحوقة إلى أعلى الطبقات النبيلة والثريّة والمسيطرة. هنالك العمال والفلاحون والأجراء والمالكون والتجار والمرابون واللصوص والشحاذون والمحتالون والمجرمون والمنحرفون والسجناء والعواهر والسكّيرون واليائسون ورجال السلطة والحاكمون والعلماء والفنانون والنساء والأطفال وذوو العاهات... هنالك المجتمع بكامله، وبكل أعضائه وأجزائه. إليه ينزل الكاتب وفي أرجائه يتجوّل، ومنه ينطلق، ولأجله يكتب.[23]

" لقد وضع نجيب محفوظ عدة روايات تصف الحياة المصرية. نذكر منها للتمثيل: خان الخليلي، القاهرة الجديدة، وزقاق المدق، هذا فضلاً عن كثير من القصص من طويلة والقصيرة. ولعل أشهر ما وضعه " زقاق المدق"و" الثلاثية". ف" زقاق المدق" اسم حارة أو حي صغير من أحياء القاهرة القديمة. يصور الكاتب هذا الحي تصويراً دقيقاً، ويصف لنا بنظر ثاقب وروح فكهة، سكانه وما لكل منهم من طبيعة وأسلوب في المعيشة، ويجيد في تحليل شخصياتهم ووصف تصرفاتهم وأحوالهم. ويجعل من سرد حوادثهم قصة ممتعة وعرضاً واقعياً للحياة الاجتماعية في هذه البيئة من مدينة القاهرة"،[24] وجعل من لوازم الواقعية في رواياته العناية بالتفصيلات الدقيقة والثانوية حتى التافه منها مما يتعلق بوصف الملامح والأصوات والألبسة والألوان والحركات والأشياء... امعاناً في تصوير الواقع وكأنه حاضر من لوازم الواقعية في رواياته، وكذلك التركيز على الجوانب السلبية في المجتمع، كالأخلاق الفاسدة والاستغلال والظلم

والإجرام والإدمان... حتى لقد دُعيت بالمتشائمة وفي الحقيقة لم يكن هذا ناشئاً عن التشاؤم بقدر نشوئه عن الرغبة في الرصد والمعالجة.[25]

" ف ثلاثية نجيب محفوظ مجموعة من ثلاث روايات، هي في الحقيقة ثلاثة أجزاء لرواية واحدة تمتد وقائعها من سنة 1917 حتى سنة 1944م. وفيها يتجلى لنا ما حدث من تطور في الحياة الاجتماعية والسياسية في مصر.

والأولى من هذه الروايات الثلاث هي" بين القصرين"، وهو اسم يطلق على شارع في بعض مناطق القاهرة القديمة. نرى هناك بيتاً تقطنه عائلة من تلك الأسر التجارية المتوسطة مؤلفة من والد هو أحمد عبد الجواد، ووالدة، وخمسة أولاد ـ ثلاثة صبيان وابنتان ـ ويعيش الجميع في جو تقليدي قديم ـ والد أناني صارم له القول الفصل في كل شيء، ولا يعنى بغير ما يروقه ويشبع شهواته.

وأم مسكينة خاضعة لجبروت زوجها طيبة القلب ولكنها كثيرة التعلق بالخرافات والأوهام. وأولاد مختلفو النزعات ولكنهم مسيرون بإرادة والدهم المستبد، وتجيء الثورة المصرية سنة 1919م فتدفع أحدهم برغم إرادة والده، إلي الالتحاق بها والاستشهاد في حومتها.

والرواية الثانية" قصر الشوق" وهو اسم الشارع الذي يقع فيه بيت ياسين أكبر أولاد أحمد عبد الجواد. وتجري حوادثها بين سنة 1924 وسنة 1927م.

في هذه الرواية نرى الوالد قد خفت وطأة استبداده، وأخذت العائلة تتنفس الصعداء في شبه جو من الحرية. وتبرز فيها شخصية كمال الابن الأصغر الذي نال شهادة الباكالوريا وأصبح ذا وعي سياسي وفكري. وهو يمثل اليقظة الجديدة التي حركت نفوس الجيل المتعلم وقد تسربت إليها من الأفكار ما لم تعهده من قبل. وهكذا خرج عن نطاق تقاليده واندفع في سبل قومية وروحية جديدة.

ثم تأتي "السكرية" وهي حارة كانت تقيم فيها خديجة ابنة أحمد عبد الجواد مع زوجها وأولادها. وهذه الرواية تمثل المرحلة الأخيرة من مراحل التطور الاجتماعي والفكري الذي حدث في الطبقات المتوسطة من المجتمع المصري.

فالمخترعات الحديثة قد أخذت تعم كل مكان. ولم يعد النشء يرضى الحياة التي كان آباؤه أو أجداده يعيشونها إذ قد ترقى علمياً فحصل على الشهادات الجامعية، واستنار بنور الحضارة العصرية، سواء في ذلك الشبان منهم والشابات، وكان من ذلك أن اتجهوا في تفكيرهم اتجاهات مختلفة وسلكوا في معتقداتهم سبلاً متباينة".[26]

ولعل أفضل ما كتب في هذه الثلاثية بحث للأب جاك جومييه 1958م نقله إلي العربية الدكتور نظمي لوقا نشرته دار مصر للطباعة.

يقول : في أسلوب نجيب محفوظ كما يظهر في هذه الرواية وهو كما اختبرناه من مطالعتنا لكتابات هذا الروائي الكبير يصدق على أسلوبه العام في جميع رواياته. قال:" بالغة ما بلغت موهبة الرواية لدى نجيب محفوظ، وبالغاً ما بلغ فنه الموفق في تشويق القراء لمتابعة حوادث روايته، فإن الأهمية الأولى للثلاثية قائمة في مجالها السيكولوجي، فالثلاثية تموج بالأنماط الإنسانية. ونعتقد أن الدراسات الفلسفية التي بدأ بها شبابه أتاحت له صدق الحس في التحليل النفسي، فأدرك الصلات العميقة بين مواقف قد يراها غيره أشتاتاً متفرقة لا يجمعها رباط".

ويضيف الدكتور نظمي لوقا إلي قول جومبيه ما يلي: " هذا هو نجيب في رواياته. مصور الحياة الصادق، وباعثها المبدع الأمين. فهل هذا هو نجيب الذي كتب المستشرق الفاضل هذا البحث عن ثلاثيته ؟ إنه هو، وليس هو. إنه من حيث نظر إليه المستشرق الفاضل قمة تتراءى لعيني رجل نشأ في مواطن القمم الشوامخ، وألِف الأعلام من كتاب الرواية في شتى أمم الغرب...أما نجيب من حيث ننظر إليه، أي من حيث هو ظاهرة أدبية مصرية عربية، فقمة شامخة في سهل من الأرض منبسط أو شبه منبسط". إلي قوله: " إن نجيب محفوظ كاتب خالق.. يخلق الحياة في النماذج التي يتناولها من مستودع الواقع، فيحولها من أمشاجٍ فانية إلي أنماط باقية". [27]

وفي رواية السراب جرب نجيب محفوظ الواقعية النفسية، تدور أحداث الرواية في القاهرة، لا يقتصر أبطالها على الأشخاص، بل لعب النيل والأضرحة، والخمارات دوراً بطولياً لا يقل أهمية عن دور أبطال هذه الرواية، التي تحكي قصة زواج فاشل نتج عنه ثلاثة من الأولاد دفع أصغرهم ثمن هذه الزيجة الفاسدة من جسده وروحه ونفسه.

فقصص محفوظ تنطلق من الواقع المصري الذي لا تختلف أزماته الاجتماعية عن الواقع العربي عموماً. لكنها ليست مجرد حكايا للتسلية، بل هي صراع فلسفي وتساؤلات وجودية، واستفهامات نفسية.

أماعن الصراع الفلسفي فهو الذي صنع الحبكة؛ عن ماهية الخير والشر، والحياة بمفهومها الشمولي الواضح تارة وخباياها الغامضة التي تفاجئنا في كل مرة تارة أخرى، وإذا عدنا إلي الأسئلة الوجودية فقد عُرف عن صاحب النوبل في كل أعماله محاولاته كشف سر الوجود، وطبيعة العلاقة التي تربط الخالق بالمخلوق، والصراع الأزلي بين الإنسان والطبيعة، ولا يخلو نصه هنا من سبر أغوار النفس البشرية المتقلبة، وتسليط

الضوء على أهم مخاوف الإنسان وصراعاته الداخلية. كل شخصيات الرواية مضطربة وغير مكتملة النمو؛ كامل كائن ناقص رغم كل مزياه الجسمانية الجميلة؛ قيد الخوف حياته، ولكن الاندفاع أنهى حياة أحبابه، رجل خوفه من الله لم يمنعه من معصيته، واندفاعه لإثبات شكوكه أوقعه في الخيانة، رجل يحركه ضميره لكن تتحكم فيه نفسه، يسعى جاهداً لتثبيت موقفه لكن صموده في وجه الواقع قليل؛ لذا فهو يعطل عمل العقل؛ إما بتفعيل الخيال أو معاقرة الخمر.

المبحث الثالث:

تنوع أعمال نجيب محفوظ بين اتجاهات الواقعية:

الواقعية الاجتماعية(رواية القاهرة الجديدة) أنموذجاً.

أولاً: القاهرة الجديدة

" أنشئت مدينة القاهرة الجديدة سنة (359 هـ/970 م)، وهي تضم مدينة الفسطاط القديمة التي أقامها عمرو بن العاص فقامت مقامها، وعادت مدينة الفسطاط لا تكون اليوم إلا ضاحية لتلك المدينة تعرف الآن باسم مصر القديمة، وإن كانت مدينة عمرو بن العاص هذه لم تحمل سابقاً هذا الاسم غير المطابق للأصل".[28]

تعد رواية القاهرة الجديدة قصة رائعة استدرت إعجاب الناس في عصره واستهوت نفوس الأجيال المتعاقبة، "وهي قصة رائعة من صميم الحياة المصرية، بل هو أروع آثار نجيب محفوظ إطلاقاً من حيث حسن وجمال الأسلوب وقوة الفكرة، ولما اشتملت عليه من مغزى وضعها الفنان الموهوب الأستاذ نجيب محفوظ، وقد استهدف فيها عدة آراء عالجها بأسلوب يتفق وكل رأي، فهو ساخر حيناً؛ جادٌّ حيناً آخر، رائع في الحينين. وللأستاذ نجيب ريشة لا تخطئ النأمة الخالجة في شخصياته، وهو واثق من فنه فتراه لا يقصر هذه الريشة على شخص واحد بل يطلقها على أشخاص كثيرين يرسمهم فتعرفهم وتعيش معهم وتحس إحساسهم فتصبح شريراً مع الشرّير خيّراً مع الخير مندفعاً متأججاً مع المندفع المتأجج". [29]

" وتدور أحداث الرواية عام 1934م، حيث يذكر فيها على لسان أبطاله: (الحاجة ماسة حقّاً إلى وعاظ من نوع جديد، من كليتنا لا من الأزهر) الرواية، ص 44، وتبدو الشخصية التي تمثل توجهاً إسلاميّاً أو أزهريّاً، تبدو عاكسة لنظرة الكاتب إلى الإسلام

والأزهر بوصفهما عاجزين عن التقدم، بل متهمين غالباً بازدواج الولاء، وتناقض السلوك المعاش مع الدور المنشود من كل منهما، يبدو ذلك في أكثر رواياته".[30]

إن القاهرة الجديدة هي بداية الرواية الواقعية في أدب نجيب محفوظ بعد ثلاثيته التاريخية، وهي الرواية الاجتماعية الأولى التي تمثل واقع حقيقي لحركة المجتمع في تلك الفترة من ثلاثينيات القرن الماضي بطبقاته وصراعاته وأفكاره ومبادئه وما تموج به من تغيرات وأحداث طرأت على المجتمع المصري ، وما شاع فيه من فساد وتسلط وانتهازية ومحسوبية واتساع الهُوة بين الأثرياء وعامة الشعب.[31]

" فإذا تأملنا هذه الرواية لوجدنا الصورة على هذا النحو: أب وأم فقيران ينجبان ولداً هذا الولد يجد نفسه في واقع يعيش فيه ينقسم إلي طبقتين بارزتين وطبقة متوسطة تسعى إلي أن يكون لها دور طبقة راقية بكل مظاهر الثراء في مأكل ورخاء، وطبقة شعبية معدمة تحاول أن تجد لقمة العيش، والطبقة المتوسطة بينهما وبطل هذا الرواية محجوب عبد الدايم الذي يبحث عن لقمة العيش ووضعه الاجتماعي وفقر الوالدين بعد ركيزة أساسية في نفسيته شكلت جزاً كبيراً من أزمته والطبقة الراقية كونت حقده وظروف أصحابه وانتماءاتهم أثرت في فلسفته ومع كل هذا فإن البطل هو نتاج لجميع هذه الظروف والشخصيات حوله".[32]

" ومن أهم الأنساق المهيمنة على القاهرة الجديدة مسألة الفقر والظروف الاجتماعية، وظاهرة النفاق الاجتماعي بسبب هذه الظروف المتردية، كما اتضحت صورة المرأة في المجتمع المصري، سواء في وسط الجامعة أو في الأرياف والمدن الصغيرة بعيدا عن القاهرة، وكل ذلك كان تحت تصرف الروائي في شخصياته التي جعلها تلتقي في غرفة واحدة في وسط جامعي. وهي ثلّة من عينة من طلبة كلية الآداب، فرع الفلسفة، وهذا الانتقاء في الشخصيات إنما جاء كون دراسة الفلسفة يفتح المجال للانخراط في هذا اللون من الإحساس والمسؤولية".[33]

" والقاهرة الجديدة الصادرة عام 1945م يعطينا نجيب محفوظ لمحة سريعة عن أسلوبه، لغة أكثر تطوراً من سابقيه، لكنها اليوم ستبدو أكثر كلاسيكية مما تعودنا عليه، يستخدم محفوظ الفصحى في السرد، وفصحى أكثر تبسيطاً في الحوارات دون أن يجعلها عامية، لكنه يضيف المصطلحات العامية الفصيحة في حوارات في هذه الرواية، تتحرك عبر عدة شخصيات شابة يجمعها الطموح للتحقق لكنها تواجه بصعوبات بالغة ينتج عنها

تفرقها ووقوعها فريسة للفساد السياسي والاجتماعي، ويظهر جلياً أيضاً ميل نجيب محفوظ نحو الميلودراما في أحدات رواياته، والتي يتخلص منها تدريجياً". [34]

الواقعية من خلال المكان: " وهنا يستوقفنا سؤال في غاية الأهمية وهو : ماذا يعني نجيب محفوظ بالقاهرة الجديدة" ؟ وسرعان ما تتضح الإجابة لنا بمجرد قراءتنا للرواية ونكتشف أنها لا تعني مجرد مدينة أقيمت وإنما يقصد الكاتب تغيرات في المجتمع والناس، وأفكار استجدت ورسخت في عقول العامة، وأول هذه المستجدات مجتمع الجامعة الذي كان حدثاً جديداً في مصر غير من مفاهيم عديدة، أما ثاني هذه المتغيرات هو نشأت الأحزاب المختلفة وصراعها على الحكم، وفساد رموز الدولة، واللعب بمصلحة البلاد للوصول إلى السلطة، فوجدنا الرشوة والمحسوبية والإتجار في الأسلحة والممنوعات واستغلال بعد الأفراد لتلك الظروف للصعود إلى الغنى الفاحش حتى ولو كان على حساب بقية الشعب الذي يعاني من الفقر المدقع كما رأينا في شخصية (قاسم بك) الذي استغل فقر (محجوب) و(إحسان) ليصل إلى رغباته الدنيئة". [35]

الواقعية من خلال الأحداث:

" إن هذه الرواية تعكس واقع المجتمع المصري من خلال شخصيات أربعة من الشباب في الجامعة بالسنة النهائية وهم (علي طه، مأمون رضوان، أحمد بدير، ومحجوب عبد الدايم). يسكنون معاً في أحد بيوت الطلاب، وقد لكل منهم اتجاهه وفكره، كما أن لكل منهم ظروفه الخاصة، فعلي طه أحب فتاة جميلة هي إحسان بنت صاحب الكشك الذي كان في نفس الشارع، وكانت على قدر كبير من الجمال لدرجة أن محجوب عبد الدايم كان يتمنى أن تكون له علاقة بها ولكن لا يستمر هذا الحب إذ سرعان ما تقطع إحسان علاقتها به؛ وارتبطت بعلاقة مع رجل أخر ذو سلطة وأموال وهو (قاسم بك)، ومأمون رضوان شاب نشأ نشأة دينية فقد حفظ القرآن على يد والده وارتبط بخطبة فتاة كان يذهب إليها كل خميس يجلس معها في وجود أهلها، أما أحمد بدير فقد كان مشغولاً بالعمل الصحفي إلى جانب الدراسة، وله معرفة واسعة بما يحدث في المجتمع كما أن علاقاته واسعة بالناس. أما محجوب عبد الدايم شاب له طموحات كبيرة، فهو من أسرة فقيرة، أصيب والده بالشلل وهو بالسنة النهائية ومر بظروف قاسية حتى تخرج، وهنا يبدأ البحث عن وظيفة وفي سبيل حصوله على تلك الوظيفة يدوس على المبدأ والقيم

الدينية والأخلاقية، ولكن باءت طموحاته بالفشل ونقل من وظيفته المرموقة إلى مجرد موظف بسيط في أسوان. [36]

الواقعية من خلال الشخصيات:

" لقد بدأت الرواية بداية متوازنة في حديث الكاتب عن الأصدقاء الأربعة حينما أعطى لكل شخصية مساحة في الحديث حتى أن القارئ يتحير لمن تكون البطولة ؟ إلى أن وصل الكاتب بنا في الحديث عن (محجوب عبد الدايم) البطل الحقيقي لرواية القاهرة الجديدة. لقد رسم الكاتب لكل شخصية ملامحها وصفاتها منذ البداية حتى لكأنه وضع لكل شخصية ملفها الخاص الذي يرجع إليه وقتما يعيش مع الأحداث، فنراه ينتقل من شخصية إلى شخصيات أخرى ثم يعود إلى الشخصية الأولى، فنجده في النقطة التي تركه فيها وكأنه لم يفارقه قط.

فـ(مأمون رضوان) اسم مشتق من الإيمان فهو متدين بطبعه، لديه اتزان نفسه، يمثل التيار الديني المعتدل الذي يؤمن بالمبادئ ويرفع قيمة الدين ويحلم بالعروبة والإسلام، وهذا الاتزان جعله ينجح في دراسته ويتفوق حتى يرشح بعد تخرجه لبعثة إلى السربون لاستكمال دراسته العليا. فنجيب محفوظ يبين من خلال شخصية مأمون دور الاعتدال الديني والإيمان بالقيم والمبادئ في نجاح الفرد والمجتمع.

و(علي طه) اسم له دلالته على العلو والرفعة، منحه الله الجمال والوسامة والأناقة يمثل اتجاه من أطياف المجتمع الذي يؤمن بالاشتراكية المطلقة، لكنه ثائر ملحد لا يؤمن بالغيب وإنما يؤمن بالعلم. أنه يمثل التيار الاشتراكي الذي يبعد الدين بعداً كلياً وكأن الكاتب أراد أن يوضح لنا قيمة الارتباط بالقيم الدينية التي أسقطها علي طه من قاموس.

و(أحمد بدير) لا يختلف مع أحد في الرأي وإنما هو نقل لوجهات النظر المختلفة يتسع صدره لكل المقترحات بصفته صحفي، فهو العين الراصدة لحركة المجتمع وتغيراته كما أراد الكاتب والاسم له دلالة على أنه محمود من الجميع يمثل الطرف المحايد الذي يدرك حقيقة الأمور ويعلم ما يدور حوله من أحداث.

" شخصية (محجوب عبد الدايم) من دائرة الفقر إلى عالم السلطة: هي شخصية مضطربة نفسيا، ضعيفة تميل إلى حيثما تميل المصالح، ظل يتلقى مصروفه اليومي وهو في الجامعة من والده الفقير، فكان يرسل له ما يكفيه على حساب بقية الأسرة ورغم ذلك حوّلته الظروف إلى كائن انتهازي لأنه أخطا حين أراد أن يكون ذكا شأن ولو على حساب تربيته الريفية، وكان أبوه يتمنى أن يتخرج ويأخذ مكانته في العائلة ليحقق لها الرخاء الاقتصادي والاجتماعي، ولأن الظروف لا تسير حسب رغبة الأب

الذي تعرّض لحادث جعله غير قادر على الاستمرار في عمله، فيفقد وظيفته، فقد أثر هذا الأمر على (محجوب) الذي وجد نفسه في حالة ضيق مادي ونفسي، فلم يبق على تخرجه إلا خمسة شهور، يحاول الاتصال بقريبه "سالم الإخشيدي" لكنه كان أكبر انتهازي وصولي، وبالتالي فقد وجد نفسه أمام مشكلة كبيرة خاصة وأنه رفض مساعدته، وبذلك فقد قرّر أن يبحث عن عمل آو أي آمر يحقق له الاستقرار حتى يتخرج من الجامعة".[37]

وهكذا تتجلى الصورة الواقعية لمحجوب الذي تحول إلى إنسان لا تهمه التربية والثقافة والأصل، ومات ضميره الإنساني ، خاصة بعد ما عقد الزواج مع إحسان، وتنازل عن مبادئه وثقافته ويتضح ذلك في قول الأديب نجيب محفوظ : **"وتسلم عشرين جنيها ليستعين بها على إصلاح شأنه فأخذ الأوراق ذاهلا، لأنه لم يكن رأى شيئا كهذا من قبل، وجعل يعبث بها باهتمام، ويتفرس فيها بغرابة وإنكار، هذا ثمن القرنين اللذين يحلي بهما رأسه، كل قرن بعشرة جنيهات"**[38] ، وهكذا يتضح مفهوم البؤس الاجتماعي في الرواية من خلال شخصية (محجوب عبدالدائم).

" وبتلك الفلسفة داس محجوب على كل القيم الدينية والأخلاقية، فلم يتوارى في أن يقيم علاقة جنسية مع إحدى بنات الشوارع الذي وجدها تمارس الجنس مع أحد البوابين وهي (جامعة أعقاب السجائر) مقابل ثلاثة قروش ليشبع رغبته الشهوانية الطاغية. إن اسلوب (محجوب) العبثي الفوضوي ونظرته المستهترة للقيم جعلته ذا طبيعة شاذة وجعلت علاقته بالآخرين واهية. ويستمر الكاتب في رسم تلك الشخصية فيجعله يعترف على لسانه: " ليكن لي أسوة حسنة في إبليس... الرمز الكامل للكمال المطلق". هكذا وصل (محجوب عبد الدايم)؛ لأن يتخذ من الشيطان قدوة على الرغم من أن القارئ قد بدأ يشعر بتعاطف معه إلى حد ما في بداية الرواية مع ظروفه القاسية، ولعلنا نقرأ رسالة الكاتب الذي أراد أن يبعثها لنا وهي معاناة المجتمع من الفقر، الفقر الذي دفع (محجوب) ليدوس على كل القيم ويبيع نفسه ليصبح قواداً.

و(إحسان) ذات الحسن والجمال، ولكن في الوقت ذاته هي تحمل معنى الإغراء، فجمالها وحده هو ما جعل علي طه يقع في حبها على رغم من اختلافهما فكرياً وعقلياً، أما أمها فهي من بنات شارع محمد علي ووالدها (شحاتة) أصله تركي قضى حياته مع الشرب والقمار : "والواقع أن والديها لم يضمرا للأخلاق احتراماً قط". لقد وجدت الفتاة في أبيها وأمها عوناً للشيطان والسقوط، إن إحسان نموذج لكل بنات المجتمع التي تنحرف في

طريق الرذيلة نتيجة سوء تربية الأسرة ونتيجة ضغوط الحياة، فلم يكن من الغريب إذاً أن تقع البنت فريسة لإغراءات (قاسم بك)، وكذلك جعلها الفقر تدوس على حبها وشرفها، وجعل والديها يرتضيا لبنتيهما أن تكون بين رجلين.

أما الشخصيات الأخرى، فقد أدت دوراً في الأحداث لا غنى عنه، ف(عبد الدايم) والد محجوب لعب دور الموظف البسيط الذي أقعده الشلل عن العمل ليصبح ابنه في تلك الظروف، و(حمديس) الموظف الفاسد الانتهازي، مثل لفساد الإدارة وتحكم الموظفين، و(تحية) الفتاة المهذبة المتعلمة التي تمثل المرأة الواعية الشريفة التي لا تقبل الجنوح وراء شهوة محجوب فهي بنت محافظة على رغم من أنها من طبقة أرستقراطية.

ولعل المرأة هي المحور والركيزة التي تدور حولها الرواية وقد بدي هذا واضحاً حينما سلط الكاتب عليها الضوء في سطوره الأولى من خلال تعليق بعض الطلاب حول دخول الفتيات للجامعة ومن خلال سؤال (أحمد بدير)، أدعوكم أيها الإخوان إلى إعلان آراؤكم في المرأة على ألا يزيد البيان عن كلمات معدودات". وهنا تتعدد الرؤى والاتجاهات بين نظرة دينية ونظرة علمانية ونظرة اشتراكية وأخرى ملحدة، ولكن يبقى الفقر هو حال الأغلبية الكاسحة من الشعب المصري، هكذا استطاع محفوظ أن يعكس بقلم فنان مدرك لأحداث مجتمعه ومشكلاته أهم القضايا التي تشغل الناس والمعاناة التي يعيشونها بلغة سهلة وأسلوب شيق وحبكة متقنة" .[39]

" ومن خلال الحوار في هذه الرواية بين الطلبة الشبان، برزت شخصية كل شاب فمثلاً: عندما تحدث مأمون رضوان بلهجة انتقادية. لا حديث للفتيان إلا الفتيات.

"وبرزت شخصية الإنسان الجدي، وعلي طه عندما سأله أحمد بدير (طالب وصحافي معاً) عن المرأة، فقال: المرأة شريك الرجل في حياته كما يقولون. فمن خلال إجابته ظهرت شخصيته المنفتحة والغير معقدة.

وأما الوصف في هذه الرواية فكان وصفاً دقيقاً، واعتنى بالتفصيلات الدقيقة والثانوية وحتى التافه منها ما يتعلق بوصف الملامح والأصوات والألوان" .

فقد وصف الفتاة محبوبة علي طه : قال: " هي فتاة في الثامنة عشرة، تضيء محياها بشرة عاجية، وعينان سوداوان يجري السحر في حورِهما والأهداب، أما شعرها الفاحم وما يُحدِثه تجاوُب سواده مع بياض البشرة فيخطف الأبصار، وقد حوى معطفها الرمادي جسماً لدناً ناضجاً ينتشر سحراً ووهجاً.

ووصف في الطول والقصر ولون البشرة ولون العينين قائلاً:" كان مأمون رضوان أطولهم قامة، ومحجوب عبد الدائم في مثل طوله تقريباً, وأما علي طه فرَبعة متين البنيان ولا ننسى المكان دكان سجائر تقوم على ناحية شارع العزبة امتداد شارع رشاد باشا من ناحية عبة الدقي، ودار الطلبة على ناحية شارع رشاد باشا، وحجرة مأمون رضوان وهيئته فقال: حسه الرشيق هيئة عسكرية جذابة في مسيره ذا قوام ممشوق... ثم وصف حالهما فقال: سارا متمهلَين يبهج منظرهما الشباب والحياة".[40]

" وقد اتضحت صورة المجتمع المصري من خلال شخصية محجوب التي غلبتها الظروف الاجتماعية ممثلة في الفقر والإحساس بالعجز رغم امتلاكه شهادة علمية تؤهله ليكون فعالا في المجتمع دون اللجوء إلى الطرق الملتوية، وبذلك فقد برزت تلك العلاقة بين النّسق والبنية الاجتماعية وهي علاقة جدليّة، "فالبنية هي الّتي تكشف النّسق كما أنّ النّسق هو الّذي يكوّن البنية".[41]

وتكشف الواقعية الاجتماعية عن صنف من البشر يبيعون أنفسهم وضمائرهم من أجل الحصول على أموال ومناصب. وقام الأديب نجيب محفوظ بتجسيد هذه الشخصيات في معاني لا مرئية أراد من خلالها تقريب الواقعية بين الإنسان ومجتمعه حسب طبيعة الحياة البشرية، وبذلك "فالمعنى ليس مرئيّا من خلال ما تقدّمه العناصر المشكّلة للواقع، إنّما المعنى كيان مبنيّ استنادا إلى أنساق، وبعبارة أخرى، لا يمكن للمعنى أن يصبح مرئيّا وقابلا للإدراك إلّا إذا تمّ الكشف عن النّسق المولّد له، فلا وجود لدلالة معطاة بشكل كليّ وتام ونهائيّ، قبل تدخّل الذّات القارئة الّتي تقوم بإعادة بناء القصديّات الضّمنيّة المتحكّمة في العلاقات غير المرئيّة من خلال التجلّي المباشر للنص" .[42]

الخاتمة:

في ختام رحلتي مع هذا البحث المتواضع أضع بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، لقد اعتمدت الدراسة في عرض رواية (القاهرة الجديدة)، وآثرت أن تكون الدراسة مبتدئة بمقدمة وثلاث مباحث، وحاولت خلال المقدمة تتبع مراحل حياة نجيب محفوظ وبيئته المنعكسة على ثقافته وروافده الفكرية والأدبية؛ ويعد الأديب نجيب محفوظ من الرواد الذين أسهموا بقسط وافر في الحركة الأدبية في مصر، وكان- رحمه الله – وفياً طيلة حياته للأدب والوطن.

من خلال دراستي موضوع: الواقعية الاجتماعية والواقعية الفلسفية في أعمال نجيب عبدالعزيز محفوظ في رواية: (القاهرة الجديدة) أنموذجاً نلخص النتائج والتوصيات الآتية:

1- أن الأديب تميّز بانتقائه للألفاظ السلسة والبعيدة عن الغرابة، واعتماده على الصور الجزئيّة، وعاطفته الجيّاشة الصادقة.

2- كان الأديب يختار ألفاظه اختياراً جيداً، ويبدع في انتقائها بذوقه وفطرته الأدبية، ومن خصائص أدبه سهولة في اللفظ، واعتماده على اللغة المتداولة البسيطة، ووضوح عباراته وابتعاده عن كل ما هو مبهم، كما امتاز أسلوبه الشعري بالصدق والأصالة والرنّة الموسيقية.

3- كان الأديب يولي اهتماماً بالغاً للفكرة، وكان يبتعد قدر الإمكان عن التكلّف في توظيف الخيال والبديع، والميل إلى التكرار بهدف تعميق المعنى، وتميز أسلوبه ببساطته وخلوّه من التكلّف.

4- تعد رواية القاهرة الجديدة أول رواية يكتبها نجيب محفوظ بعد مجموعة الروايات التي تحدث فيها عن مصر الفرعونية، لينتقل بها إلى الحديث عن مدينته الحبيبة.

5- يُوضح نجيب محفوظ من خلال هذه الرواية تدهور الأوضاع الاجتماعية والإقتصادية وكذلك السياسية في فترة نهاية الثلاثينيات من خلال أربعة أصدقاء وفتاة فقيرة وأحد كبار موظفي الدولة .

6- تُعد رواية" القاهرة الجديدة "واحدة من أشهر روايات الكاتب الروائي العالمي نجيب محفوظ .وقد لاقت هذه الرواية شهرة كبيرة بين أوساط الأدباء والقراء والنُقاد، كما اشتهرت في أوساط العوام على حد سواء .

7- تميزت رواية (القاهرة الجديدة) بمضامين وطنية جليلة وسامية وهي ما سعى نجيب محفوظ إلى تحقيقها.

8- تصور رواية (القاهرة الجديدة) مجتمعاً وتعالج جيلاً.

9- نلاحظ في رواية (القاهرة الجديدة) أننا نبدأ وننتهي ونحن أمام جيل من الناس ومجتمع قابل للزوال، فلا تبقى إلا بعض الملامح البشرية والإنسانية الخالدة، والمجال هناك أوسع؛ لأنه خالد بخلود الإنسان، والقيمة الإنسانية هناك أكبر، وهي جزء من القيمة الفنية له أثره في وزن الرواية، وراء المهارة الفنية في التنسيق العرض.

وفي الختام أشكر الله وأحمده الذي أعانني على اختيار هذا الموضوع وجمعه، فله الحمد والشكر.

وأخيراً آمل أن يكون فيما قدمت نفعاً للقارئ والدارس، وآمل كذلك أن يعذرني القارئ إذا اعترضه –في عملي – خطأ أو نقص أو قصور فالكمال لله .. والحمد الله رب العالمين.

الهوامش:

1. حول الدين والديمقراطية: أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب، ص 223ـــ 225.
2. نجيب محفوظ ،عيسى فتوح، الموسوعة العربية، 2ـــ 12ـــ 2014م .
3. حياة نجيب محفوظ، 2015م، على موقع واي باك مشين ويكيديا.
4. كتب ومؤلفات نجيب محفوظ ،مؤسسة هنداوي، 2023م .
5. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر ـــ بيروت ، 1433هـ، الطبعة الأولى، ج8/ص402 .
6. الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوربية، الرشيد بن شعير، دار الأهالي، 1996م ، الطبعة الأولى ، ص7.
7. منهج الواقعية في الإبداع ، صلاح فضل، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، 1992م، ص11.
8. الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوربية، الرشيد بن شعير ص7 .
9. المعجم المدرسي للطلاب، عربيـي ـــ عربي، د/جرجس ، انطوان حويس، دار القلم العربي، ، 2024م، ص24 .
10. المدخل إلي علم الاجتماع ،عصام محمد منصور، دار الخليج، 2012م،الطبعة الأولى، ص/ 17 .
11. لسان العرب ،ابن منظور، ج273/9.
12. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة ج700/2 .
13. مجلة الفكر العربي، ايمانويل كانط المنطق، ترجمة: علي حرب، العدد48، 1978م، ص/38).
14. المذاهب الأدبية عند الغرب، عبد الرزاق الأصفر، ج1/ص123، 124 .
15. ينظر المصدر السابق ج1/ 134.)
16. اتجاهات نقدية حديثة ومعاصرة، غسان السيد ووائل بركات، 2023م ص/ 53 ـــــ 55 بتصرف.
17. نظرية النقد الأدبي الحديث، يوسف نور عوض دار الأمين القاهرة،1994م،الطبعة الأولى، ص/33 بتصرف.
18. اتجاهات نقدية حديثة ومعاصرة، غسان السيد، ووائل بركات، ص33 ـــ 55.
19. إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، دراسة: د/ محمد الباردي ج1/13.
20. نجيب محفوظ إبداع نصف قرن". إعداد (غالي شكري). دار الشروق ، (1989). صفحة 24.
21. إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة ج145/1.
22. بحث عن أعمال نجيب محفوظ الروائية والأدبية، دينا الكرجاني، 2020م.
23. المذاهب الأدبية عند الغرب ،عبد الرزاق الأصفر، ج139/1.
24. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة الحديثة، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين بيروت ـــ لبنان، 1984م، الطبعة الرابعة، م، ص/ 520.
25. المذاهب الأدبية عند الغرب ، عبد الرزاق الأصفر، ج139/1.

26. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة الحديثة، أنيس المقدسي، ،ص522،521.
27. المصدر السابق، ص/522، 523.
28. حضارة العرب - غوستاف لوبون، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، الناشر: مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة القاهرة – مصر، عام النشر: 2012 م، ص239.
29. مجلة الرسالة، أصدرها: أحمد حسن الزيات باشا (ت 1388هـ)، تاريخ النشر 1432ه، 42/ 692.
30. مجلة البيان، المؤلف: تصدر عن المنتدى الإسلامي، 46، 109.
31. الواقعية في القاهرة الجديدة،2017م.
32. الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، محمد علي سلامة، دار الوفاء الإسكندرية، 2007م، الطبعة الأولى، ص138).
33. الأنساق الثقافية في رواية القاهرة الجديدة، لـنجيب محفوظ، تقية إيمان، عبدلي انتصار، 2021-2022م، ص24
34. الواقعية في القاهرة الجديدة، مدونة يحررها طلاب الإعلام باللغة العربية، 2017م.
35. المصدر السابق.
36. المصدر السابق.
37. الأنساق الثقافية في رواية القاهرة الجديدة، لـنجيب محفوظ، تقية إيمان، عبدلي انتصار، ص24.
38. رواية القاهرة الجديدة، ص 125 .
39. الواقعية في القاهرة الجديدة، مدونة يحررها طلاب الإعلام باللغة العربية، 2017).
40. نقل بتصرف، من كتاب المذاهب الأدبية عند الغرب، لعبد الرزاق الأصفر.
41. عز الدين لمناصرة، علم التناص والتلاص، دار مجدلاوي، عمان، 2006م ط الثالثة، ، ص، 31.
42. أمبيرتو إيكو، العلامة، تر: سعيد بنكراد، ص، 22.